النظرية السوسيولوجية (مفهومها، خصائصها، وظائفها)

مقدمة :

يقتضي الاهتمام بنظرية علم الاجتماع من حيث التاريخ أو التحليل أو النقد ، ان نؤسس أولا لمفهوم النظرية في هذا الحقل المعرفي الحديث النشأة –نسبيا قياسا إلى العلوم الاجتماعية الأخرى ، في هذا السياق سنعرض مفهوم النظرية من مختلف وجهات النظر وأهم خصائصها فضلا عن بيان أهم وظائفها:

*مفهوم النظرية: بصفة عامة يشير مفهوم النظرية إلى المجموعة القضايا التفسيرية التي تستخدم في فهم وتفسير الاحداث والمشكلات ، وتساعد في معرفة أسبابها ، بغرض إقامة معرفة متكاملة عن العالم الاجتماعي (مثل أنماط الجريمة ، البطالة والصرعات الاجتماعية ، والتخلف .....) كما تنطوي النظرية بالإضافة إلى البعد المعرفي أبعاد أخرى عاطفية وتأملية ومعيارية تضفي على النظرية أهمية قصوى.

هذا الفهم للنظرية يختلف بالتالي عن الفهم الشائع لها بين غير المختصين، الذين يرون بأن النظرية لا تختلف كثيرا عن الفرض العلمي، كما يعدها آخرون قانونا أو مبدأ.

ويري **روبرت ميرتون R. Merton** بأن النظرية تشير إلى مجموعة التصورات المترابطة منطقيا ، ويؤكد ميرتون على أن النظرية تبأ في الظهور حينما تترابط المفاهيم في شكل قضايا، بحيث تصبح هذه القضايا تجريدا للعلاقة بين متغيرات واقعية، وحينما تترابط القضايا فإن النظرية تتكون.

-بينما **يذهب تالكوت بارسونز T. Parsons** إلى النظرية تتصل بكيان المفاهيم المترابطة منطقيا، إلا ان ذلك لا ينفى وجود مجموعة من القضايا العامة ذات العلاقات المنطقية التي تترابط فيما بينها.

*وعليه يمكن الكشف عن ثلاثة عناصر أساسية لبناء النظرية السوسيولوجية وهي : المفاهيم والقضايا والبناء المنطقي .

1- **تعريف المفهوم**: يعرفه دافيد ماكليلاند بانه تمثيل مختصر لمجموعة من الحقائق ، بمعني أن مفاهيم علم الاجتماع هي رموز لفظية تعطي لأفكار معينة تم تجريدها من الملاحظة العلمية للظواهر العلمية

-ماهي وظيفية المفهوم؟ يقوم المفهوم (ينهض) بناء على / او من خلال عزل مجموعة محددة من الاحداث أو أنماط السلوك، ووصف خصائصها ، ومن ثم تلخيصها في معني معين ممثلا لهذه المجموعة من الاحداث أو الانماط أو السمات ، وتعتبر كل مجموعة جديدة من البيانات عزلت أو فصلت عن المجموعات الأخرى على أساس خصائص

معينة بمثابة معطي أو تسمية أو هي باختصار مفهوم ، وعليه فإن المفهوم يعتبر تحديدا مختصرا لمجموعة من الحقائق أو اختصار لمجموعة من الاحداث أو الظواهر تحت عنوان عام واحد ، أو انعكاس لما يدور في فكرنا حول هذه الظواهر والاحداث ، وتعرف عملية اختصار الظاهر والتعبير عنها في صورة مفهومات باسم عملية صياغة المفاهيم .

وتسمي عملية ترجمة هذه المفاهيم إلى الملاحظات أو مؤشرات وتوحيد معانيها باسم التعريف الإجرائي للمفاهيم .

وغلى جانب المفهوم هناك مصطلح آخر له اهمية متساوية وهو المتغير Variable وهو بعد يمكن قياسه للمفهوم مثل تحديد نمط القيادة (ديمقراطية أو ديكتاتورية) تحديد نسيبة البطالة في أوساط الشباب .....إلخ ، كما يرتبط بمصطلح المتغير مفهوم آخر هو المؤشر Indicateur وهو ما يدل على المتغير في الواقع، ما يساعد على ربط المتغيرات بالواقع موضوع الملاحظة .

ومن ناحية أخرى قد ينظر في الغالب إلى مجموعة من المفهومات أو إلى ما يعرف بالإطار التصوري الذي يعني صياغة تصورية للظواهر في إطار وجهة نظر محددة .

2 – **القضية:** تشكل القضية الوحدة الثانية في بناء النظرية وتعرف القضية على انها تعبير عن الواقع الاجتماعي يتضمن مفهومين أو أكثر ، ومن تمة فالقط تعبر عن العلاقات بين المفاهيم وقد يشار إلى القضية أحيانا على أنها فرضا، او تعميم مبدئيا واحتماليا يخضع للاختبار الامبريقي للتعرف على صدقه او خطئه ، ومن ثمة ينظر إلى النظرية على أنها مجموعة الفرضيات

3- **البناء المنطقي** :ويشير البناء المنطقي إلى الهيكل البنائي الذي تنتظم فيه قضايا النسق النظري .

النظرية والبحث في علم الاجتماع

النظرية في علم الاجتماع – كما مر معنا- مجموعة من القضايا المتعلقة بالمجتمع والظواهر الاجتماعية ، أو هي بعبارة أخرى تمثل مجموعة القضايا التي أمكن صياغتها في مصطلحات هذا العلم ، والتي تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر الاجتماعية التي تقوم على افتراض جدلي بأن المجتمع والظواهر الاجتماعية تتميز بأن لها كيانا مستقلا.

وقد أثار موضوع النظرية في علم الاجتماع جدلا بين المشتغلين في هذا الحقل المعرفي وخاصة بيان العلاقة بين النظرية والبحث حيث تجدر الاشارة إلى أنه في علم الاجتماع يتعين تجنب طرح سؤال من نمط : أيهما أهم النظرية أم البحث ؟ بل يجب التأكيد على صياغة السؤال التالي: كيف يخدم احدهما (أي النظرية والبحث) الآخر؟

أولا: أثر النظرية في البحث :

- توجيه النظرية للبحث نحو الموضوعات المثمرة .
- تضفي النظرية على نتائج البحث دلالة مغزي.
- تنطوي على توجيهات عامة تمد البحث بسياق محدد .
- توجيه مفاهيم النظرية عملية جمع وتحليل معطيات البحث

ثانيا: أتر البحث في النظرية :

- يسهم البحث في فحص مدى كفاءة النظرية في فهم الواقع .
- يسهم الحث في إعادة صياغة النظرية .
- يسهم البحث في إعادة تجديد محور اهتمام النظرية .
- يسهم البحث في توضيح مفاهيم النظرية .

الاتجاهات الكلاسيكية في علم الاجتماع

من المعروف أنه حتي بدايات القرن التاسع عشر لم يكن هناك علم اجتماع بالمعني الذي يشير إلى هيكل منظم للمعرفة ونهجية خاصة ، وإطار تطوري محدد يميزه كنظام معرفي له موضوعه الخاص يميزه عن غيره من الدراسات ذات الصلة العريقة مثل الاقتصاد والتاريخ والفلسفة والقانون.

حيث لم ترق اسهامات **مونتيسكيو ،وفيرجسون ،وميلار ، وتوماس هوبز وجوني لوك ، وجاك جاك وسان سيمون، وفيكو** إلى نماذج لدراسات سوسيولوجية واضحة المعالم .

ففي خضم التحولات الكبرى التي هزت أركان المجتمع الاوروبي قادتها فكريا فلسفة التنوير الي دعت إاى تغير المجتمع الأوروبي (سان سيمون، كونت ، دوركايم)

- العقلانية الالمانية ودورها (هيجل ، ماركس ، ماكس فيبر)
- الزعة التطورية الانجليزية (أدم سميث ، سبنسر)
- الاتجاه العلمي الايطالي (باريتو)

من الصعب على القارئ والمهتم بدارسة النظرية السوسيولوجية أن يتناول القضايا والمشكلات والظواهر التي تهتم بهذه النظرية دون ان يتعرف بوضوح على مجموعة العوامل و الظروف التي مهدت لنشأتها وتطورها.

لقد ظهر على الاجتماع كبينة طبيعة لظواهر المجتمع الصناعي والرأسمالي الذي وضع او معالمه خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر ،كما تعود جنور هذا العلم غلى الاهتمامات الفكرية والثقافية والسياسية التي بدأت تتضح معالمها خلال عصور الاصلاح والتنوير ، ومهدت للحضارة الغربية الحديثة .

بالإضافة إلى ذلك ثم تضيف مجموعة العوامل الاجتماعية والفكرية ، التي مهدت بالفعل لبلورة وتطور النظرية السوسيولوجية ، وتتمثل هذه العوامل في :

التطورات الاقتصادية والاجتماعية في أروبا وفي العالم الجديد (أمريكا) وعلى الوجه الخصوص ظهور نظام المصنع واتساع نطاق استعمال التكنولوجيا ، وبروز الطبقة العاملة في المجتمع الرأسمالي .

أهم إسهامات تالكوت بارسونز:

- أولا: أراد بارسونز أن يعيد إلى ساحة الاهتمام في مجال علم الاجتماع مسألة النظام ولكن بمنظور جديد ولذلك عد أول من دخل في صراع مع هوبز حول مفهوم النظام اساسا ثم دور وأهمية العقد الاجتماعي بمفهوم هوبز في حل مشكلة النظام ، لان فكرة العقد تجعل الافراد ينصرفون بعاطفية لتحقيق أهداف المجتمع ، ولكن تصرفهم من منطلق عقلي رشيد يختلف عن تصرفهم من منطلق عاطفي وجداني وعلى ذلك أكد بارسونز على أن مشكلة النظام مشكلة إمبريقية وفرق بذلك بين نوعين من النظام ، نظام معياري عام ونظام واقعي .
- ثانيا: انطلق بارسونز من نظرية الفعل الاجتماعي إلى النسق الاجتماعي وبذلك تسمي نظريته بنظرية الفعل والنسق الاجتماعي .
- ثالثا: أهم مفهوم اشتغل به بارسونز هو تأكيده على مفهوم القيم الاجتماعية ، الاجماع القيمي داخل المجتمع (المدخلات Input، والمخرجات Out put) فالمجتمع يحقق حاجاته عن طريق المدخلات (اقتصادية ، اجتماعية ، تربوية)ويعتمد عليها في تحقيق المخرجات (السلوكات ، التنظيم ، والاجتماعية والاقتصادية ، السياسي) .

" ومما يمكن توجيهه من نقد لنظرية بارسونز حسب إرفينج زايتلن Zeitlen هو ان اهتمامه بالوظيفية افقده الطريق نحو بناء نظرية علمية ، كما يمكن ملاحظة تأكيد بارسونز على فكرة التوازن والإقلال من شأن الصراع والتغير وهذا بالإضافة إلى الانحياز الايديولوجي .

يمكننا أن نلخص الخصائص المميزة للوظيفية السوسيولويجة على النحو التالي :

1- أن المجتمعات عبارة عن كليات أي أنساق من اجزاء مترابطة في مابينها ارتباطا متبادلا ويكتسب كل جزء ماله من معني في ضوء علاقته بالكل ، كما يقوم كل جزء بأداء وظيفة معينة داخل النسق لذلك فالمجتمع عبارة عن نسق من عناصر بينها ارتباط واعتماد متبادل بحيث يسهم كل منها في تكامل النسق وتوافقه ككل ومن ثم تصبح العملية الاجتماعية ذات طابع تعددي تبادلي .

2- أن مفهوم النسق مفهوم محوري لكل اشكال الوظيفية بين الأجزاء والكل وهي أهم ما يميز الوظيفية عن المداخل الكلية والشمولية الآخرى. فالمجتمع وفقا لوجهة النظر الوظيفية عبارة عن بناء من عناصر لها شكلها النمطي ، اما نقطة الانطلاق فتتمثل في النسق ككل وفي العوامل الضرورية واللزمة لبقائه ونموه وكفاءة أداءه الوظيفي.

3- أن كل العناصر التي يتركب منها النسق الاجتماعي مقومات ضرورية لا غني عنها بالدرجة التي يقوم فيها بأداء بعض الوظائف التي ترتبط " بحاجات" النسق كنسق وفي هذا الصدد طور بارسونز فكرة المتطلبات الوظيفية للانساق الاجتماعية ويشير بها إلى الاشياء التي يجب ان تتحقق في أي مجتمع إذا أريد له الاستمرار والبقاء أي ككل الظروف والشروط العامة والضرورية للمحافظة على النسق وتشمل على :

*تهيئة العلاقة بين الفرد والبيئة

*تمايز الادوار واكتسابها

*توجهات معرفية ومشتركة وأهداف واضحة

*الانتظام المعياري للوسائل

*تنظيم التعبير العاطفي والتنشئة الاجتماعية

ويضيف بارسونز المتطلبات الوظيفية إلى أربعة مقولات أساسية وهي : التوافق ،وتحقيق الهدف، والتكامل والكمون (إدارة التوتر).

النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية (الوظيفية المبكرة)

اولا : ماكس فيبر ونظرية الفعل الاجتماعي

توضح عملية تحليل تراث النظرية الكلاسيكية أن هناك عدد من الرواد البارزين في علم الاجتماع الذين اسهموا بصورة كبيرة في تطوير ليس فقط النظرية السوسيولويجية بل أيضا المناهج وطرق البحث في هذا العلم، وهذا ما ينطبق على إسهامات ماكس فيبر الذي تنسب إليه عديد الكتابات والتحليلات الخاصة بالقواعد المنهجية والبحثية في علم الاجتماع، إضافة إلى افكاره النظرية التي مازالت تثري هذا العلم إلى يومنا هذا ، خاصة وان أفكاره النظرية لم تأت من فراغ بعد ما عبرت عن المشكلات الواقعية والظواهر الاجتماعية التي عاصرها بالفعل وأراد أن يختبرها

بصورة مستمرة عن طريق إجراء العديد من الدارسات والابحاث الامبريقية التي عززت طريق البحث العلمي من ناحية وتطوير النظرية السوسيولوجية من ناحية أخري.

وبدون شك فإن معظم كتابات على النظرية السوسيولوجية تعطي اهتماما ملحوظا بإسهامات فيبر باعتبارها تعكس اهتمامات المدرسة الألمانية التي ساهمت في تطوير علم الاجتماع نظريا ومنهجيا ، وعملت على تطوير التخصصات والفروع في علم الاجتماع التي لم تكن قد تتبلور بعد من خلال إسهامات المدرستين البريطانية من خلال اسهامات المدرستين البريطانية من خلال اسهامات سبنسر والفرنسي من خلال اسهامات كونت ودوريكايم .

وجاءت أفكار ماكس فيبر بمثابة رد فعل لكثير من التحليلات والكتابات السوسيولوجية والاجتماعية التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر والتي جاءت نسبة كبيرة منها في تحليلات كارل ماركس التي حملت الفكر الانساني الى مرحلة جديدة حيث ركزت أفكار فيبر وكتاباته النظرية والمنهجية على تحليل أفكار ماركس ونظريته المعروفة عن المادية التاريخية والمادية الجدلية .

كما جاءت تحليلات فيبر كامتداد حقيقي لتطور النظرية البنائية الوظيفية في علم الاجتماع في صورتها التقليدية .

وانطلاقا من اهتماماتنا الأساسية بإسهامات فيبر فإننا نولي اهتماما خاص إلى بيان النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية (البنائية الوظيفية) التي لقيت اهتماما كثيرا في طرق علماء النظرية السوسيولوجية المعاصرين الذين تبنوا نظرية الفعل الاجتماعي نظرا لأهميتها على المستوى النظري أو الميداني .

أولا الاتجاه الايديولوجي والفكر ي لماركس فيبر

تعكس طبيعة الحياة الاجتماعية والأسرية لماركس فيبر الكثير من نوعية الكتابات والأفكار التي لأتى بها هذا العالم الذي ولد في افريل 1864وتوفي 1930عاش في المانيا وتنقل بين مختلف البلدان الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية ينتمي غلى اسرة ميسورة الحال أما والدته تنتمي إلى الطبقة لرستقراطية –معرف السياسية – تنشئته العلمية - تعرف على تروتسكي وسايبل-ودوكتوراه في الاقتصاد

حياته المهنية عمل في مجال المحاماة واستاذ بالجامعات الالمانية

وتعكس حياته طبيعة الاهتمامات الخاصة لديه حيث ركز على دراسة المشكلات والظواهر الاقتصادية التي عاصرها

- شارك في لجان تقويم المشكلات والقضايا والمؤسسات والنظم من خلال تأسيسه لمؤسسة السياسة الاجتماعية .
- اشتغاله بتطوير الرأسمالية الغربية ونمو وظهور التنظيمات .
- تأثر بكتابات كانط وهيجل ولاسيما تطوراتها للعلاقة ما بين المعرفة والعقل والفعل (الاطار الابستمولوجي) ودول الدولة والمجتمع والسياسة والسلطة .

- أهتم فيبر بتحليلات ماركس واخد منها موقفا عدائيا مما حدى بعض إلى وصفه بماركس البورجوازي نظرا لأنه كان دائما على النقيض من أفكار ماركس وكانت افكاره عن الصراع الطبقي والرأسمالية والدين والديموقراطية والاغتراب والتغير الاجتماعي .
- كان فيبر مدافعا عن الرأسمالية داعيا إلى سياسات إصلاح وتغيير وتحديث شامل مع مراعاة الصالح الوطني والقومي (في إطار النظام الرأسمالي طبعا) وخلق نوع من الحياة الاجتماعية التي تنشد الرفاهية بصورة مستمرة .
- تأثيره على الرأسمالية لا تمثل نظاما اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا بل نظاما عقلانيا يقوم على اسس علمية ويحترم العلم كأساس للتقدم والتطور والاصلاح البشري .
- برع فيبر في استخدام المناهج التحليلية المقارنة في دراسته للظواهر الاجتماعية التي عاصرها أو العديد من الاحداث والقضايا الاجتماعية التي تمتد بجذورها عبر العصور التاريخية .

ثانيا: مقولة الفهم والمنهج العلمي :

حرص فيبر على دراسة وتقييم كافة المناهج العلمية التي تستخدم من قبل العلوم الطبيعية والاجتماعية من خلال استخدام المدخل التحليلي المقارن الذي ساعدة كثير في الكشف عن دراسة الظواهر المشكلات التي تقوم بدارستها وطرح التساؤلات والفرضيات .

وفي هذا الخصوص أبدى فيبر معارضته للأفكار المنهجية الاقتصادية والنفعية داعيا إلى تبني ما يعرف اليوم بيم علماء المناهج بالمدخل المتعدد بين العلوم AP-multidiscip مع ضرورة إعطاء خصوصية منهجية لكل علم ، حتي يجعله قادرا على اكتشاف ظواهره وتفسيرها بصورة واقعية .

وبخصوص فهم الواقع الاجتماعي (علاقات وتغيرات) التي تقوم حسبه على أساس وجهة نظر سوسيولوجية تقوم بتفسير طبيعة الظواهر الافعال والسلوكات والعلاقات الاجتماعية كما توجد في الواقع ، حيث يتعين دراستها موضوعيا وعن طريق التفسير السببي ومعرفة العلل والفعل الاجتماعي حيث ركز فيبر على مقولة الفهم والفعل الاجتماعي كمقولتان منهجيتان أساسيتان.

-مقولة الفهم عند ماكس فيبر وحسب تحليلات " فرويد" و"بندكس" و"بارسونز" و"جيدنز" ترادف عملية التفسير البي والعلمي عند دراسة الظواهر الاجتماعية وتفسير الواقع الاجتماعي بمعني معرفة العوامل التي تلعب دورا أساسيا في تشكيل الظواهر الاجتماعية ، وهنا نجد فيبر يؤكد على الفهم السببي حيث يتعين على الباحث أن يتجاوز

بموضوعية مطلقة الذاتية الفردية والاحكام القيمية أو الفروض المسبقة التي تؤدي إلى نتائج مضللة وبعيدة عن الواقع وعليه يؤكد فيبر على ان منهج الفهم يعتبر اسلوبا علميا وواقعيا ويساهم في إقامة علم الاجتماع.

أما المقولة المنهجية الثانية التي حددها فيبر كأساس للمنهج العلمي وهي مقولة الفعل الاجتماعي حيث يتصور الفعل الاجتماعي على أنه سلوك بشري ويقوم على كل من الفعل والفاعلين Actors بإضفاء معني ذاتيا على هذا الفعل ، كما أن هذا الفعل أو السلوك البشري المتجدد أيضا من خلال تفسير وفهم سلوك الأفراد الأخرين تجاه هذا الفعل –أي انه لا يمكن فهم السلوك ذاتي مجرد دون ان تتأخذ في عين الاعتبار ما يضفي على هذا السلوك أو الفعل بعدا اجتماعيا وفهما دافعيا من خلال معرفة رد الفعل الاجتماعي الذي يترجم من خلال سلوكات الأفراد الأخرين .

ثالثا: علم الاجتماع ودراسة الفعل الاجتماعي :

حرص فيبر على ضرورة تبني مقولة الفهم او ما يسمي بالنظرية السببية للتفسير والتي عرض فيها على الموضوعية والبعد عن الذاتية ، وهذه هي معالم علم الاجتماع عنده سواء على المستوى النظري او المنهجي ، وتتضح هذه المعالم من خلال تبنيه لمقولة الفهم والفعل الاجتماعي وتبنيه للنماذج المثالية ، وتركيزه على المنهج التاريخي والتجريبي وعموما يمكن إجمال وجهة نظره كما تبلورت عن نظرية الفعل الاجتماعي كما يلي:

1- تركز مهمة علم الاجتماع عند فيبر في دراسة مجموعة من القيم الأساسية التي تحدد السلوك الاجتماعي وفهمها موضوعيا وتفسيرها في ضوء السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي التي ظهرت فيه .
2- حلل فيبر مكونات الفعل الاجتماعي باعتباره وحدة الدراسة الأساسية التي تقدم عليها علم الاجتماع واعتبر للفعل معني عند الفاعل ومراعيا سلوك الأخرين (الفاعلين).
3- تحديده لأنماط لمعني الفعل الاجتماعي وهي :
- المعني الحقيق للفعل الفردي المحسوس (المعني الذاتي)
- المعني المقصود الحقيق أي المعني الذي يشدد على مستوى الجماعة (المستوى المعياري)
- المعني المناسب الذي يصاغ صياغة علمية مجردة (النموذج النظري المجرد) وهذه الانماط الثلاثة تساعد الباحث في فهم وتفسير الفعل والسلوك الفردي والجماعي بصورة علمية وموضوعية كاملة .
4- اعتبار الفرد وحدة التحليل الاساسية للمجتمع بالإضافة إلى اهمية الفعل
5- تتباين مستويات عقلانية الفرد عن طريق الفعل الاجتماعي وهذه المستويات هي :
- الفعل الاجتماعي التقليدي – الفعل الاجتماعي الوجداني

- الفعل العقلان الموجه نحو قيمة مطلقة
- الفعل الاجتماعي الموجه نحو هدف معين

6- تكشف تحليلاته لأنماط الفعل الاجتماعي عن مدى حرصه لاستخدام المناهج المثالية كأسلوب منهجي عبارة عن تصورات عقلية مستمدة من الواقع بالفعل ولكنها قد لا توجد بهذه الكيفية او الخصائص وانما تستعمل كأداة يسترشد بها الباحث في دراسته للأنماط المختلفة في الواقع.

7- حدد فيبر من خلال نظريته طبيعة العلاقة المتداخلة بين انماط الفعل الاجتماعي ونوعية السلطة الشرعية في علاقتها بالروابط والجماعات .

8- تأكيده على مقولات وظيفية مثل : التعاون، الانسجام ، التكامل، التنافس ، (صراع بسيط من أجل المحافظة على النسق) .4

9- ركز فيبر على خاصية التنافس التي تتسم بالطابع السلمي

حسب ميرتون :

1- أن التكامل كل أجزاء النسق (أي الانساق الفرعية) لا يكون كاملا (هشاشة التماسك الاجتماعي داخل المجتمعات المتقدمة) ، حيث أن الاتجاه الاساسي للانساق الاجتماعية يكون نحو تحقيق التوازن والانسجام بين النظم الاجتماعية ، ومع ذلك فغن عناصر اختلال التكامل تكون دائما موجودة بما يؤكد أهمية ميكانيزمات الضبط الاجتماعي .

2- إن الانحراف والتوتر والضغوط توجد كلها كعناصر " معوق اجتماعي" تميل إلى ان تصبح ذات طابع نظامي أو إلى ان تحل في خظم الاتجاه نحو التوازن والتكامل الاجتماعي

3- يتحقق التكامل الاجتماعي بصفة أساسية من خلال الاجتماع القيمي او الموجهات الادراكية المشتركة او من خلال مجموعة من المبادئ العامة التي تضفي على البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي القائم طابع المشروعية .

النظرية الوظيفية في علم الاجتماع

تعد فكرة الوظيفية فكرة قديمة في تاريخ الفكر الاجتماعي حيث تحدث كونفوشيوس عن الوظيفية الاجتماعية للدين كما تحدث افلاطون عن وظائف علم النفس أو المماثلة بين قوى النفس العاقلة والعصبية والشهوية وبين طبقات المجتمع من حيث الوظائف (الحم ، العمل ، التفكير) .

وقد حضيت الوظيفية باهتمام خاص من قبل علماء الأنثروبولوجيا كما نجد في ثنايا الاسهامات السوسيولوجية المبكرة عند كل من كونت دوركايم وسبنسر ، كما تمثل الوظيفية في ذات الوقت التوجه السوسيولوجي النظري الذي يقابل الماركسية ويناقضها من حيث المنطلقات والتصورات أو المفاهيم والقضايا أو السياق المنهجي الذي يناقش من خلاله تلك القضايا والمفاهيم .

تنطلق الوظيفية من مسلمة أن المجتمع عبارة بناء كلي (نسق اجتماعي) ينقسم إلى أبنية جزئية تعمل بطريقة تضمن تكامل وظائف البناء الكلي وتعمل من أجل تحقيق التوازن .

كما تؤكد الوظيفية على مبدأ التكيف لتفادي حالات الصراع في المجتمع التي تعبر عنها الوظيفية بمفهوم الخلل الوظيفي ، الذي سرعان ما يستعيده النسق عن طريق تحقيق الحاجات الوظيفية (أو حاجات النسق) .

لغاية صدور العمل الذي تناوله تالكوت بارسونز و المرسوم ب "بناء الفعل الاجتماعي" كان التراث السوسيولوجي في امريكا في فترة مابين الحربين يتميز بسيطرة النزعة الامبريقية الميدانية وقد ادي الاهتمام بالحقائق الواقعية (الميدانية) إلى تراجع الاهتمام بالتنظير ، حيث لم تعد النظرية السوسيولوجية ذات جدوي في علم الاجتماع لأنها تساوي في الغالب الفلسفة أو الايديولوجيا السياسية ، وقد تنامي هنا الاتجاه خاصة بعد بروز مدرسة شيكاغو منذ مطلع القرن العشرين وخاصة توجه الباحثين في علم الاجتماع في الجامعة نحو البحوث الامبريقية في مجال دراسات المدن والمجتمعات المحلية ، وبقد اعطي هؤلاء توجها جديدا في البحث يعتمد على تطبيق أدق المناهج في البحث ومن بينهم روبرت بارك وأرنست برجس ، ولويد وارنر.

إن الاهتمام بدارسة المجتمع المحلي في هذا الوقت بلذات يرجع إلى التغيرات البنائية الكبرى التي حدثت على صعيد المجتمع الامريكي جراء تحوله السريع نحو التصنيع وما استتبع ذلك من تحولات على صعيد التفاعل الاجتماعي ، مما ادي إلى إعطاء الاهتمام بعلم النفس الاجتماعي لدراسة هذه التحولات من أبرز من أسهم في ذلك وليام توماس ، تشالز كولي وجورج هربرت ميد .

أدي الاهتمام بدراسة الوحدات الصغرى إلى فقدان النظرية لبريقها السابق ، ولكن تالكوت بارسونز أعاد الحيوية إلى النظرية من جديد حينما أكد على أهمية الإطار التصوري في قيادة البحث الميداني ، إذا لا يمكن في نظره القيام ببحث ميداني دونما إطار تصوري يمد الباحث بالمناهج والأدوات .

ضمن هذا التوجه الجديد برز علماء الاجتماع اخرون أمثال فرديناند توناير و جوروج زيمل ومارسال موس وهاليفاكس و ليؤكدوا على نفس التوجه .

تتميز أعمال بارسونزبالتنوع في مصادرها حيث استقر بارسونز منابعه الفكرية من أوروبا من ألمانيا ومن فرنسا وانجلترا وإيطاليا حيث اطلع على التراث السوسيولوجي والفكري الانجليزي هوبز ولوك كما تأثر هيجل وماكس فيبر وزيمبارت وقرأ وضعية كونتو اسهامات دوركايم وسبنسر وهذه المصادر الفكرية المتعددة كونت لدي بارسونز اتجاها مضادا للنزعة الامبريقية وليس معني ذلك ان بارسونز يحتقر البحث الامبريقي ، بل اراد أن يؤكد على مسألة حيوية بالنسبة للبحث في علم الاجتماع حيث اقتنع بأن متطلبات العلم لا يمكن ان تكتمل من خلال البحث الامبريقي وحده، فالنتائج الإمبريقة يجب ان توضع في الإطار النظري عن طريق التصور العقلي ، فوجود النظرية – حسبه- ضروري لكلي تزودنا بالتصورات والفروض والعلاقات المنطقية والتأويلات التفسيرية وتمدنا في ذات الوقت بأسس التنبؤ العلمي .

رابعا: البيروقراطية والعقلانية :

اهتم فيبر بتحليل التنظيمات الكبرى وانتهي إلى وضع تصور عقلاني لهذه التنظيمات حيثما وضع الأسس الأولى لعلم اجتماع التنظيم إضافة إلى وضعه لنظرية البيروقراطية من خلال استخدامه للمنهج التحليلي المقارن من تحليلاته للتنظيمات التقليدية والكارزمية والعقلانية التي تظهر بفضل ظهور البيروقراطية .

يقوم النموذج المثالي للبيروقراطية على نوع من التنظيم التسلسلي العقلاني وخاصة التنظيمات الإدارية ويقتصر بما يلي :

- القواعد التنظيمية – الكفاءة الإدارية
- يقوم على اسلوب تقسيم العمل – اجراءات وقواعد لخضوع الاعضاء وامتثالهم
- يقوم على التسلسل الإداري وفقا لمبدأ التعبير والانتخاب ويخضع الجميع لمبدأ التسلسل الذي يأخذ شكلا هرميا تتسلسل فيه الرتب على نحو من الكفاءة والتخصص والترشيد .
- فصل اعضاء التنظيم عن امتلاك وسائل الانتاج

- الخضوع لقوانين عامة وصارمة ، مسجلة وكتوبة ولها طابع الالزام .

اما عن اهمية هذا النموذج ، فهو اداة يمكن الاسترشاد بها في دراسة التنظيمات المعقدة مثل الاحزاب والكنائس والمدارس وانظمة الجيش والمستشفيات .

*ويرتبط بهذا المفهوم مفهوم اخر وهو مفهوم العقلانية أو الترشيد Rationalisation أسلوب معين من التفكير وتخيل العالم الواقعي بمزيد من الرؤية النظرية حيث يري بارسونز انها تقوم على : الوضوح الفكري والتخصص وتنسيق الافكار ، والتحكم المعياري للقواعد ويرتبط مفهوم العقلانية في رأى فيبر بالرأسمالية التي تعمل على نمو العقلانية والبيروقراطية .

خامسا: الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية :

تطرح هذه التحليلات معارضة تحليلات ماركس حول اهمية العوامل المادية ، مركزا على أهمية العوامل الدينية في تشكل السلوك الانساني .

ثانيا : جورج سيمل ونظرية التفاعل الاجتماعي

ماتزال المدرسة السوسيولوجية في علم الاجتماع تحتل مكانة مرموقة بين المهتمين عموما بالنظرية السوسيولوجية ، ولعل اهتمامنا الحالي بأحد رواد هذه المدرسة هو جورج سيمل G.simmel يعد دليلا على تمتع هذه المدرسة بمكانة متميزة وظهر هذا جليا في أعمال الكثير من روادها من أمثال " ماكس فيبر "وكارل ماركس واصحاب ب مدرسة فرانكفورت وخاصة "هربرت ماركيوز" و" ماكس هوركهايمر" و" تيودور أدورنو" و" يورغان هابرماس "

- عاش في القرن مابين 1858-1918 ينحدر من أسرة يهودية مقيمة ببرلين –والده رجل أعمال ناجح
- درس الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والدين والاقتصاد
- حصل على دكتوراه في الفلسفة وعمل أستاذ بجامعة برلين وله عدة مؤلفات ومقالات مثل: التمايز الاجتماعي .وأخرى.
- رفض الاتجاهات العضوية والتاريخية الوضعية (كونت ، سبنسر)
- ركز على شكل وصورة العلاقات Fonalist متأثرا بالفيلسوف "كانط"
- أهتم في هذا المقام بدارسة انماط ولأشكال وصور التفاعل الاجتماعي والروابط والعلاقات التي تحدث بين الأفراد والمجتمع مثل : الطاعة ، الخضوع ، الأحداث او الجناح ، والاصدقاء.

- بالتالي فغن "سيمل" يركز على قضية التفاعل الاجتماعي باعتباره الوحدة الاساسية التي يمكن عن طريقها دراسة المجتمع والحياة الاجتماعية ويمكن التركيز حسبه على قضايا سيكولوجية مثل : اللعب ، الدوافع، الغرائز ، الحب .....ألخ

ثالثا : فلفريدو باريتو ونظرية التوازن الاجتماعي

تطورت النظرية السوسيولوجية البنائية الوظيفية الكلاسيكية على عدة مراحل واندرجت تحتها بعض النظريات الفرعية التي حاولنا تصنيفها بغرض الدراسة والتحليل .

وفي هذا المقام سنحاول بيان إسهامات احد علماء النظرية السوسيولوجية الوظيفية المبكرة وهو "فلفريدو بارينو كممثل للمدرسة السوسيولوجية الايطالية

- ولد في باريس سنة 1848-وتوفي 1923 من أسرة أرستقراطية
- شغل مهندسا ثم مابث تحول إلى الاقتصاد السياسي قبل أن يتفرغ تماما لعلم الاجتماع، حيث يشير "لويس كورز" إلى أن اسهامات "باريتو" في علم الاجتماع تضمنها كتابة باللغة الايطالية الموسوم ب العقل والمجتمع وكذا اهتماماته الاقتصادية التي تضمنها كتابه "الاقتصاد السياسي" .
- انتقد بشدة المبادئ الاشتراكية التي كانت تقوم على سياسات تدخل الدولة ضمن كتابه " النظم الاشتراكية " حيث عارض الديمقراطية والشيوعية والاشتراكية على حد تعبير "إرفنج زايتلن" ، كما انتقد أفكار ماركس بشدة واتخذ منها موقفا عدائيا قويا.

*باريتو علم الاجتماع ودراسة التفاعل الاجتماعي :

تظهر أهمية كتاباته من خلال اسهاماته في علم الاجتماع حيث عرفه بأنه دراسة المجتمع الانساني بصورة عامة، محاولا وضع وصياغة نظرية علمية عن السلوك البشري باعتماد معايير ومقاييس محددة ، تهدف إلى معرفة ما إذا السلوك الانساني سلوكا عقلانيا Ratinal أو غير عقلاني .

*استخدم باريتو الكثير من المفاهيم المدرسة البنائية والوظيفية التقليدية وخاصة مفهوم التوازن ، الذي اعتبره مفهوما رئيسا في دراسته وتحليله للظواهر الاجتماعية ودراسة المجتمع ، حيث أن الحياة الاجتماعية تحدث بصورة متوازنة وهذا المبدأ أي التوازن أخذ به "بارسونز" وبعد ذلك على ان التوازن عنده ينطوي على قدر من التغير والديناميكية.

وقد أعتمد باريتو على المنهج الرياضي او الكمي التحليلي في دراسته للمجتمع او ما أسماه " بالنسق" وعموما لقد أشار باريتو في إطار اسهاماته في النظرية السوسيولوجية على ثلاثة عناصر أساسية وهي :

1- **الرواسب** :ويقصد بها مجموعة الاتجاهات الثابتة نسبيا ، ويعتمد عليها علم الاجتماع في فهم الأفعال الانسانية وكيفية حدوثها عند الافراد الجماعات والشعوب ويندرج تحت الرواسب ست فئات ترتبط بالغرائز الانسانية وهي :رواسب الترابط ، رواسب استمرارية الترابطات –رواسب التعبير عن الذات-رواسب الانتماء للمجتمعات –رواسب تكامل الشخصية –رواسب الجنس والنوع

2- **الافعال المنطقية وغير المنطقية** :ويقصد بالأفعال التي تتبني أساليب وطرق مناسبة من أجل تحقيق اهدافها مثل الاعمال العلمية والاقتصادية أما الأفعال الآخرى فهي غير منطقية .

3- **المشتقات**: يطرح باريتو عددا من المشتقات التي غالبا ما يلجأ إليها الانسان لتبرير سلوكاته وأفعاله وهي : - التأكيد العام – اللجوء للسلطة- الاتفاق على العواطف والمبادئ – البراهين والحجج اللفظية .

***وعند مناقشته لفكرة الصفوة :** من خلال منطقة النقدي التحليل المقارن – يري باريتو أنه من الصعب وجود مجتمع يسوده نوع من التجانس الاجتماعي وبقدر ما يلاحظ ثمة اختلافات وتمايز بين الأفراد والجماعات التي تشكل بدورها نظما مختلفة من الحكم تدار بمجموعة من الأفراد أو الطبقة الحاكمة، إلى أن أطلق عليها باريتو بالصفوة التي توجد في كل المجتمعات ووجدت عبر العصور التاريخية.

ويشير بالصفوة إلى : الصفوة الاجتماعية ككل والمعني العام بالمعني الضيق يقصد بها الصفوة الحاكمة ليشير بها إلى القلة الحاكمة التي توجد في كافة المجتمعات وتستحوذ على أكبر قدر من القوة والهيمنة واقناع الجماهير بضرورة الخضوع والامتثال لأوامرها وسيادتها للسلطة .

وبصدد تحليليه لدائرة الصفوة يري باريتو في ضوء نظريته العامة عن التغير الاجتماعي أن الظروف الاقتصادية و الاجتماعية والسياسية والدينية لا يمكن أن تبقي على حالتها من الاستقرار ، وبالتالي فإن تغيرها يؤدي إلى إعادة تشكل الصفوة وتغيرها .

الملـــــــــركســـــــية :

تمثل الماركسية تأليفا إبداعيا بين ثلاثة مصادر فكرية هامة هي :

- الاشتراكية الفرنسية
- الفلسفة المثالية الألمانية

- الاقتصاد السياسي الانجليزي

جاءت اسهامات ماركس في وقت بدأت فكرة النظام تتجسد في النظرية السوسيولوجية ، وذلك بطرح مدخل جديد للنظرية السوسيولوجية وهو مدخل الصراع في مقابل مدخل الإجماع الذي تبنته النظرية الوظيفية.

تعد الماركسية أول نظرية سوسيولوجية تستند إلى الدور الهام الذي يمكن أن تلعبه الطبقة العاملة (البروليتاريا) حيث أبرزت دور الصراع الطبقي في إطار عملية تاريخية شاملة تفسر الماضي بقدر ما نشخص الحاضر وتتنبأ بالمستقبل إذا لم يكن ممكنا أن تظهر الماركسية قبل نضوج الظروف الاجتماعية الموضوعية اللازمة لظهورها ، فقد أدى إلى ظهور الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي إلى تطور تقسيم العمل الاجتماعي ، واتضحت للعيان تناقضات الرأسمالية و، تفاقمها مما أدي بالمجتمعات الاوروبية إلى البحث عن الوسائل الكفيلة بحل هذه التناقضات وبالتالي ظهرت الماركسية لتنادي بضرورة نشأة نظام إجتماعي جديد يلغي الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، ويقيم سلطة الملكية العامة لوسائل الانتاج ، حيث كان العامل الحاسم في ظهور المادية التاريخية هو اكتمال تكون الطبقة العاملة حيث انتقل الصراع الطبقي الذي كان مغطي – في الماضي- بأقنعة دينية وإيديولوجية واجتماعية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ليأخذ طابعا سياسيا بعد بروز الطبقة العاملة التي ما فتئت تنادي بإنهاء الاستغلال الذي فرضته البرجوازية .

وغذا كانت الماركسية لم تلق الاهتمام – كنظرية – من قبل علماء الاجتماع الأوائل من أمثال **كونت ودوركايم وسبنسر** غير أم موقف علماء الاجتماع من الماركسية بدأ في التحول منذ وفاة ماركس في سنة 1883ضمن ما يسمي بالحوار مع شبح ماركس ، حيث أبدى بعض علماء الاجتماع في القرن العشرين وعيا كبيرا بأهمية النظرية الماركسية بالنسبة لعلم الاجتماع والممارسة السياسية ، ويمكننا أن نشير في هذا المجال إلى كتابات **فرديناندتونيز F.toneis وماكس فيبر M.weber وزمبارت Zembartوموسكا Moska وفلفريدوباريتو F pareto، وكارل مانهايم Kmanhaim.**

تنطلق الماركسية من اعتبار التاريخ نتاج الصراع بين القوي المادية والفكرية ،أن التغير ليس عملية عشوائية وإنما يحدث التغير بفعل قوانين محددة (قوانين الدياليكتيك).

تتكون الماركسية من :

1- المذهب وهو المادية التاريخية
2- المنهج : المادية الجدلية التي تستدل إلى قوانين الجدل (الدياليكتيك) الاربعة وهي :

- وحدة وصراع الاضداد
- التحول من البسيط إلى المركب
- نفي النفي
- التحول من الكم إلى الكيف بالمرونة والقابلية للتغير أكثر من تميزه بالثبات ودوام الظواهر .

وتؤكد الماركسية على المجتمع هو نفس systeme بشكل الاقتصاد المكون الرئيسي فيه ، على اعتبار أن المجتمع هو عبارة عن مجموعة من البنيات المتشابكة ، التي تشكل البنية الاقتصادية البنية المهيمنة في المجتمع .

1- **التغير الاجتماعي :** يربط ماركس بين التغير الاجتماعي والصراع الطبقي الذي يعد أداة التغيير الرئيسية والفعالة داخل المجتمع الانساني ، ويري أن التغيير الاجتماعي ينتج عن محملة الصراع بين الفئة التي تملك وسائل الانتاج (البرجوازية)والفئة التي لا تمتلك سوى قوة العمل التي تضطر لبيعها في سوق العمل وهي القوة العاملة (البروليتاريا) أي أن التغير ينشأ عن البنية الفوقية super stuetime من أفكار ومعتقدات ونظم سياسية وثقافية بمعني آخر أن اساس التغيير الاجتماعي مادي متمثل في الاقتصاد عن طريق الصراع على أدواته بين الطبقات الاجتماعية ، تفضي نتيجة الصراع إلى سيطرة طبقة جديدة على أدوات الانتاج وتفرض رؤيتها الجديدة في المجتمع فيحدث التغيير الجذري .

2- **الطبقة الاجتماعية والصراع الطبقي :** ويعرفها ماركس بأنها " تجمع من الاشخاص يؤدون نفس الوظيفية في عملية تنظيم الانتاج "وحيث تقوم الطبقة حسبه على البعد الاقتصادي المادي ويري ماركس أن الصراع الطبقي هو ظاهرة حتمية وعنصرا الصراع هما : الطبقة المحرومة أو الفاقرة لوسائل الانتاج ، والطبقة الماركسية لوسائل تقوم الماركسية على ضرورة تنظيم الانتاج من قبل العمال وإلغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، والمطالبة بضرورة أن يحل جهاز الدولة محل القطاع الخاص ، كما تؤكد الماركسية على منهج جديد يقوم على التركيز على علاقة الوعي بالوجود من خلال التركيز على مسألة المادة والوجود هما أساس الوعي أو الفكر ، حيث ان الوجود أولى والوعي ثانوي، وبالتالي فإن من يتحكم في وسائل الانتاج (الملكية الخاصة) هو من يتحكم في تشكل الوعي ، ففي حالة المنظومة الرأسمالية تلعب الطبقة البورجوازية المتحكمة في وسائل الانتاج وفي تسيير المنظومة الاقتصادية دورا كبيرا في تشكل الوعي الطبقي حيث أنها تلعب دورا محوريا في إنتاج منظومة القيم، وتتحكم في المنظمة السياسية حيث أن نظام الدولة ضمن النظام الرأسمالي هو نتاج لسيطرة البرجوازية على المجتمع (البناء التحتي الذي يمثل الملكية والتكنولوجيا يتحكم في البناء الفوقي الذي يمثل الوعى والمنظومة الفكرية في المجتمع الرأسمالي)

***أهم مفاهيم الماركسية :**

تقوم الماركسية على تحيل البناء الاجتماعي والظواهر الاجتماعية انطلاقا من مجموعة من الافتراضات التي تقوم فهمن الديناميات التي تخضع لها نواميس التغيير المادي للتاريخ على اعتبار أن العالم يتميز الانتاج ، والمهيمنة على الاقتصاد والسياسة (أي الدولة)والمجتمع .

3- **مفهوم الاغتراب :** ويعرف الاغتراب Alienation الاستلاب بأنه : تجريد الفرد من علاقته الفردية الخاصة وطمسها أو إذابتها في بوتقة المجتمع العام بحيث لا يستطيع أن يعبر عن أفكاره ورغباته الخاصة .

أما في تفكير كارل ماركس فيشير " إلى حالة انفصال الانسان عن بيئته الانتاج التي ينتمي إليها سواء كان المنتج أشياء مادية او أفكار".

حيث تزداد حالة الاغتراب –حسب ماركس- بازدياد التطور التكنولوجي لوسائل الانتاج والتقدم الحضاري حيث تمثل المجتمع البرجوازي ذروة اغتراب الانسان عن ذاته بسبب سيطرة أساليب الانتاج التي ابتكرها الانسان من أجل تذليل الطبيعة ، فتصبح تسيطر على الانسان نفسه(مثلا النظام الرأسمالي يخفي علاقات الاستغلال ويضعف حالات الانتماء لدي الفرد ، ويقوي الشعور بالعزلة ، ويعد الاغتراب عند ماركس أداة تحليلية للتفسير .

4- **مفهوم الايديولوجيا:** تعرف الايديولوجيا Ideology وهي كلمة مشتقة من لفظين يونانيتين Idea بمعني فكرة وهما بمعني علم وتعني علم الأفكار ، أما من منظور كارل ماركس فتعني أية نظرية أو نسق من الأفكار تتخذ من تبرير تطلعات وأوجه نشاط جماعة ما من البشر وظيفة اجتماعية لها.

ومن الناحية السوسولوجية يري ماركس وانجلز أن الايديولوجيا السائدة في المجتمع هي ايديولوجيا الطبقة الحاكمة بحكم النفوذ والملكية لوسائل النتاج والسيطرة على الاقتصاد والسياسة ، وبالتالي فان العنصر الذي يحدد طبيعة الايديولوجيا هو الاقتصاد حيث أن الطبقة البورجوازية المتحكمة في الاقتصاد تجعل من الايديولوجيا أداة للتغيير عن مصالحها واحكام سيطرتها على المجتمع.

5- **مفهوم نمط الانتاج : Mode de Priduvtion**

يري ماركس أن العمل هو أساس الحياة الاجتماعية ، وأن انتاج الثروة المادية هو العمل الأساسي المحدد للتطور الاجتماعي ، حيث يشير ماركس إلى مفهوم نمط الانتاج ، الذي يتكون من مفهومي قوي الانتاج وعلاقة الانتاج ، وهما أساس الصراع في النظام الرأسمالي حيث أن هناك فئتين أو طبقتين في المجتمع – كما بينا سابقا- إذا هما تملك وسائل الانتاج وأدوات الانتاج وتستحوذ على مردودية الانتاج أي المنفعة وفائض القيمة وتهيمن بالتالي على ثروة المجتمع وهناك طبقة آخري موجودة داخل المصنع وهي من تنتج بصفة فعلية ولكنها لا

تحصل سوى على الأجر الذي يسد رمقها وعليه يرى ماركس بأن العلاقة بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج تكون غير متكافئة ، بسبب عدم تكافؤ طبيعة الملكية .

- المنهج الماركسي: كما أوضحنا سابقا فإن الماركسية تؤكد على المنهج الجدلي التاريخي في تحليل الظاهرة الاجتماعي للكشف عن مكوناتها والكشف عن التناقض القائم بين طبقات المجتمع.

أزمة المجتمع الرأسمالي وظهور حركة التجديد والنقد في علم الاجتماع

نشأ علم الاجتماع –كما مر معنا- كحقل معرفي متميز في ظل الازمة المتعددة الأبعاد التي عرفها المجتمع الاوروبي منذ القرن الثامن عشر واذا كانت هذه الازمة البنائية قد عبرت عن حركة التحول في المجتمع ، فقد أدت على صعيد أخر إلى أزمات فكرية شكلت في ما بعد روافد وتيارات متباينة هزت اركان المجتمع الأوروبي في نهاية القرن الثامن عشر (18)وفي الربع الاول من القرن التاسع عشر ، مما تطلب معه البحث عن قواعد وقوانين علمية تحكم الواقع الاجتماعي بأزماته ومشكلاته المختلفة .

وما يميز هذه الفترة من الناحية الفكرية هو بروز رؤية مزدوجة للواقع الاجتماعي ، وتتمثل الرؤية الأولي في مجمل النظريات الميكانيكية التي تؤكد على مسألة النظام وتطبق مقتضيات هذه الرؤية بصفة آلية ميكانيكية على الواقع الاجتماعي ، اما الرؤية الثانية فتتمثل في ظهور الماركسية وبداية تيار راديكالي في علم الاجتماع .

لكن التغيرات البنائية في المجتمع وبروز طبقات اجتماعية جديدة مثل طبقة العمال جراء التوسع في حركة التصنيع وزيادة هيمنة الطبقة البرجوازية في محاولة لإحكام سيطرتها على المنظومة الرأسمالية في جميع المجلات ،إلى بروز تناقضات اجتماعية خطيرة ، وإلى بروز تيارات رافضة لهذا الواقع (حركة اليسار الجديد) وبالتالي انتقلت الحركة النقدية من النقد الاجتماعي إلى مجال النقد الذي طال النظرية السوسيولوجية ومن أبرز الاسهامات التي ظهرت في هذا السياق نجد اسهامات:رايت ميلز، هربرت ماركيوز، دافيد ريسمان، القن جولدنر، توماس بوتومور.

وبالتالي ظهرت أولى معالم **النظرية النقدية** في علم الاجتماع حيث ساهمت الحركات الاجتماعية التي سيطرت على المجتمعات الغربية في الدفع بالمجتمع نحو حل تناقضاته الداخلية خاصة بعد الحرب العالمية ومن هذه الحركات نذكر : ثورة الزنوج ، حركة الطلبة 1986،ببباريس، حركة السلام ، ثورة الشباب و ذلك بالاهتمام بفكرة الصراع كبديل لفكرة النظام التي طبعت سواء البناء الاجتماعي و التنظير في علم الاجتماع لمدة طويلة ونتيجة لعدم كفاءة الأطر النظرية القائمة أنداك على فهم هذا الواقع الجديد ، حدثت أزمة مزدوجة

أزمة مجتمع وأزمة تنظير بمعني أن النظرية السوسيولوجية لم تعد تملك الكفاءة اللازمة لقراءة وفهم الواقع الجديد مما ادي إلى بروز اتجاهات نقدية كمحاولة للخروج من دائرة النظام متمثلة في اسهامات **رايت ميلز** ضمن ما يسمي بالخيال العلمي السوسيولوجي الذي يعد أول بروز للتيار النقدي في علم الاجتماع الغربي (الامريكي) ذاته، وفي عقر دار البنائية الوظيفية ، وإلى جانب إسهامات **القن جولدنر** ضمن ما يسمي بأزمة التأمل السوسيولوجي ضمن مؤلفه الشهير " الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي " إلى جانب الإسهام المتميز لتوماس بوتومور T.biuttomore في نقل الحركة النقدية من المجتمع إلى علم الاجتماع ، ضمن ما يسمي من النقد الاجتماعي إلى النظرية النقدية وهو التصور الذي نسج على منواله جون ركس J.rex حينما وجه الأنظار من نقد النظرة إلى نقد المجتمع .

وفي هذا السياق أيضا برز الاهتمام من جيد بالماركسية باعتبارها نسقا معرفيا متميزا في المجتمع ، ومما زاد الاهتمام بالماركسية تصاعد موجات الحركات العمالية إلى جانب عجز البنائية الوظيفية باعتبارها الاتجاه الفكري السائد عن فهم طبيعة النسق الاجتماعي وما يحويه من تناقضات أدت إلى انتشار سريع لأفكار اليسار الجديد التي تدعو إلى السلام والديمقراطية والمساواة والتكامل الاجتماعي ، ففي هذه الفترة أصبحت الماركسية التقليدية (أي ماركسية ماركس) تمثل نموذجا للحكم الشمولي البيروقراطي (نموذج ستالين) ، مما أدي إلى فقدانها للبريق والشهرة والمكانة وأدي بالتالي إلى بروز حركة التجديد في الفكر الماركسي أو ما يسمي بالماركسية الجديدة ، إلى جانب تيار أخر ممثلا في اليسار الجديد الذي قاده بعض الشباب الماركسي أمثال **ليون تروتسكي ،و كاوتسكي ، وجورج لوكاتش، وروزا لوكسمبورغ، وانطونيو غرامشي**، إلى جانب مدرسة فرانكفورت التي ظهرت في ألمانيا والتي انطلقت من نقد بعض الطروحات الماركسية والوظيفية في آن واحد ومن أبرز روادها: **ماكس هوركهايمر، وتيودور، أدورنو وهربرت ماركيوزوإيريك فروم ويرغن هابرماس** ، كما ان التحولات التي حدثت في واقع الطبقة العاملة أفقدت العمال الطابع الثوري نظرا لتحسن وضعياتهم الاجتماعية (تحول الوضع الطبقي في المجتمع الرأسمالي)

الاتجاهات التوفيقية في علم الاجتماع

في الوقت الذي حاول فيه بعض رواد النظرية تجاوز أزمة علم الاجتماع ، بانتهاج أسلوب النقد (نقد النظرية ونقد الواقع) واتجه البعض الآخر اتجاها مغايرا عندما كرسو جهودهم لصياغة مجموعة من البدائل النظرية وهي :

1- الاتجاه الظاهراتي (الفينومينولوجي) : اطلق هذه التسمية " الظاهرتية " العالم الاجتماعي إدموند هوسرل Edmimd Husserel ومضمونة يشير إلى الوصف الدقيق لمعطيات الواقع في تجاربنا المباشر لمعرفة مكنونات الظاهرة دون الالتفاف إلى جوانب السطحية أو اعراضه الحسية الظاهرية .

-**وحسب ماكس** شيلر فإن الظاهراتية تشير إلى الوصف الدقيق لمعطيات الواقع في تجاربنا المباشرة لمعرفة مكونات الظاهرة دون توجيه الاهتمام بالجوانب الظاهرية أو الحسية .

-وحسب **الفريد فيركانت** فإن الظاهراتية تعني فهم المفاهيم الاجتماعية من خلال تأمل الحياة اليومية.

-ومن رواد هذه الاتجاه إدموند هوسرل ، ماكس شيلر ، الفريدشوتز A.chutz، وبيتربيرجر p.berger، ومارتن هيدجر M.haidger.

2- التفاعلية الرمزية: تعود جنور هذا الاتجاه إلى أفكار عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر الذي أكد على فهم العالم الاجتماعي يكون من خلال اتجاهات الأفراد الذين تتفاعل معهم وأن فهم الظواهر الاجتماعية يكون من خلال تحليل الفعل الاجتماعي في المجتمع .

وقد ارتبط ظهور هذا الاتجاه بالنزعات السلوكية الاجتماعية أو يعرف بالنزعات الاجتماعية السلوكية .

ويشير مصطلح التفاعل الرمزي إلى ذلك التفاعل الذي يأخذ مكانه بين الناس من خلال الرموز ومعظم هذا التفاعل يحدث على اساس الاتصال القائم وجها لوجه أو عن طريق الرمز سواء كان هذا الرمز ماديا أو معنوي أو شكليا أو صوريا ، مادام يحمل دلالة رمزية تشير إلى وجوده ، حيث يري أصحاب هذا الاتجاه بأن النظام أقل من ان يكون سمة للنسق الاجتماعي ، وإنما هو اكثر من ذلك باعتباره شيئا يوجد ويتحدد وجوده كل يوم من خلال عمليات التبادل في مواقف التفاعل ، حيث اننا ندرك عالمنا الاجتماعي من خلال سلسلة من الانماط كنا قد قمنا ببنائها لكي نعطي معني مختلف للمواقف ونتكيف مع ما قد يوجهنا منها كل يوم ، ومن أشهر رواد هذا الاتجاه : **هارولد جارفينكل وهيلموت فانجر و والتر والاس .**

3- **النظرية البنيوية :** يعين مصطلح "البنية" العناصر الثابتة لمنظومة لا تحمل أي تناقض إزاء العناصر المتباينة"ووفق هذا المنهج يدل مفهوم البنية إما على هيئة ، أو مجموعة من الوظائف للمتغيرات في ما بينها ، أو مجموعة من الوظائف ذات التواصل العلائقي المشترك.

وحسب ميردوك يشير مفهوم البنية الاجتماعية إلى تماسك المؤسسات الاجتماعية ، حيث أن المؤسسات ليست تجمعنا اعتباطيا أو عرضيا وبهذا المعني يكون لها بنية.

وحسب كلودليفي شتروس فإن البنية تحمل أولا وقبل كل شيء طابع النسق أو النظام ، فالبنية تتألف من عناصر إذا ما تعرض الواحد منها للتغيير أو التحول تحولت باقي العناصر الأخرى.

- والتحليل البنيوي حسب **كلود ليفي ستروس** هو تحليل واقع الظواهر الاجتماعية، كما تجرى في واقع المجتمع دون التعاطي عن خصائصها الحقيقة دون الوقوع في الخطأ ، او تفسيرات ضبابية تحجبنا عن فهم الظواهر فهما حقيقا.

ومن أشهر رواد هذا الاتجاه : كلود ليفي شرلوس ، ولويس التوسير، ميشال فوكو، جاك دريدا ، رولان بارت ، هيرست.

4- نظرية ما بعد الحداثة : شهدت فترة الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين تطورت ملحوظة في مجال النظرية السوسيولوجية ، حيث تركزت جهود علماء الاجتماع على قضايا ومشكلات المجتمع برؤي منهجية ونظرية متعمقة .

قد واستقطبت نظرية ما بعد الحداثة العديد من التخصصين في العلوم الاجتماعية خلال العقدين الاخيرين من القرن الماضي ، حيث عبرت عن الكثير من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية (المعلوماتية) يري فوستر بأنه يمكن تفسير فكرة ما بعد الحداثة في ضوء التميز بين ثلاث مفاهيم وهي : الحديثModern والحداثة Modrnityوما بعد الحداثة Post Modrnityحيث تشير الحداثة إلى العصر الحديث ومفهوم ما بعد الحداثة إلى الفترة اللاحقة لعصر الحداثة ذاته، كما يشير مفهوم الحداثة إلى ظهور الثقافات الجديدة ، ومجتمع الاستهلاك وطرق الاتصالات وهي التحولات التي تعرفها المجتمعات المعاصرة التي تتميز بأعلى درجات التقدم التكنولوجي والصناعي وما نتج عن ذلك من تحولات على صعيد الحركة الثقافية والفنية ، وانهيار منظومة القيم الثقافية والجمالية ومن أشهر من أسهم في بلوة هذا التصور (مابعد الحداثة) **جان بورديار ، جون ليوثار ، نيكولاي ميزيليس، انطوني جيدنز.**